

# الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر

من سنة ١٩١٨-١٩٦٨م

محمد عبد الله عطوات

مقدمة:

إن فلسطين أرض الأنبياء والصحابة وصالحي المؤمنين، أرض الرسالات السماوية، تكثرت فيها الأماكن المقدسة، ولا سيما المسجد الأقصى في القدس الشريف، الذي شهد الإسراء وحيث عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى، ومعظم سكانها عرباً وغالبيتهم من المسلمين حتى حدوث نكبة عام ١٩٤٨م، حيث طرد اليهود حينئذ معظم سكانها الأصليين العرب - مسلمين ومسيحيين - واستقدموا أعداداً كثيرة من يهود العالم بغية توطينهم في فلسطين، مدّعين أن القلّة من يهود فلسطين هم أصحاب هذا البلد الشرعيين، وأن العرب طارئون، والمعلوم أن هذا تزوير للحقيقة والتاريخ المشهود بهما عبر آلاف السنين.

ويشهد التاريخ أن عرب فلسطين مشهورون بالجهاد في سبيل دينهم ووطنهم منذ زمن بعيد، ولا سيما في عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم طيلة القرن الماضي، وأخص بالذكر عهد الانتداب البريطاني من ١٩١٨-١٩٤٨م، وإبان الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين منذ عام ١٩٤٨م وإلى يومنا هذا. وبرز في فلسطين شعراء ذوو نزعة إسلامية بارزة، كرسوا الكثير من شعرهم في هذا الاتجاه، وتحدثوا عن الأماكن المقدسة والمناسبات الدينية، وشارك عدد منهم في ساحات القتال واستشهد بعضهم، وشارك معظمهم في جعل الشعر سلاحاً في خدمة حركة النضال الفلسطيني، ويات الشعر الفلسطيني في غالبته شعراً ملتزماً بقضايا الوطن، والشعب وآماله.

ويبدو لي أن الأستاذ مأمون فريز الجرار قد فتح الباب لدراسة الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر، حيث نشرت له دار البشر في عمّان في عام ١٩٨٤م: كتيباً بعنوان: **الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث** ذكر فيه أن الشعر الإسلامي الفلسطيني غزير، وقدم نماذج من هذا الشعر.

وحيث أنني خبرت أدب القضية الفلسطينية التي عشتها، ووجدت أن الشعر الفلسطيني مميّز بالاتجاهات الدينية والوطنية والقومية والاجتماعية فقد أجريت هذا البحث، وعرضت فيه موضوعات لم تُبحث من قبل، وقدمت نماذج عديدة في كل موضوع، ثم أتبعتها بدراسة فنية ونقدية لهذا الشعر، وبذلك بات هذا البحث المركز شاملاً وعميقاً، هادفاً أن يكون إسهاماً في حركة النضال الوطني ضد الصهيونية الباغية، فضلا عن التعريف بهذا الشعر وإفادة المثقفين والباحثين، وكانت دراستي في هذا البحث تقوم على منهج تحليلي، وصفي، تاريخي، فني.

حاولت في بحثي هذا أن أقدم دراسة متكاملة عن الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني، في فترة خصبة من تاريخ هذا الشعر، ألا وهي الفترة الممتدة بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٦٨م، هذه الفترة التي ظهرت فيها اتجاهات وجوانب تحتوي على معالم الإبداع الحقيقية ذات الجذور التراثية والاجتماعية، وكان للأحداث المتوالية والكفاح والتضحيات أثر كبير فيها.

وبيّنت أن القصيدة الفلسطينية اتبعت نهج الشعر العمودي حيث اعتُمدت البحور ذات التفعيلات الطويلة، التي تنسجم مع هذا الشعر، وتزيده رونقاً وجمالاً، ولا سيما البسيط والطويل والوافر والكامل والخفيف والرمل والمتقارب.

ومما يجدر ذكره أنني عندما أجريت دراسة فنية لشعر الاتجاه الإسلامي بيّنت أن هذا الشعر قد تطوّر في الشكل والمضمون.

#### أولاً: مفهوم الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني ونشأته

أولاً لا بد لنا من الإشارة إلى معنى "اتجاه" ثم "إسلام"، فكلمة "اتجاه" مأخوذة من اتجه، واتجهتُ إليك أي توجهت، وقيل "اتجه إليه: أقبل، واتجه لفلان رأي أي سنح"<sup>(١)</sup>. وخلاصة القول: إن الاتجاه يعني التوجّه أو الإقبال نحو شيء ما، أو سلوك اتجاه أو منحني نحو هدف أو قصد معين.

١ - الشيخ عبد الله، البستاني: البستان، المطبعة الأميركية، بيروت، ج٢، ص ٢٦٦، ١٩٣٠م.

وإذا تتبعنا معنى كلمة "إسلام" ومادة "سَلَم"، فالسلام المسالمة، وهي ضدّ الحرب والخصام<sup>(١)</sup>. وكلمة "سَلَم" تعني الخضوع والانقياد، وأسلم أي انقاد أو دخل في دين الإسلام، وقد اقتصر معناها على من أسلم وجهه لله طوعاً أو دخل في الإسلام؛ ثم حُصِّت كلمة "الإسلام" بالدين الإسلامي. وهي تعني أيضاً الطاعة المطلقة لله دون سواه، ودون إشراك أحد معه<sup>(٢)</sup>.

وينطلق الشاعر في الاتجاه الإسلامي من تصور إسلامي في نظريته إلى الكون والإنسان والحياة، وفي نظريته إلى القضايا والأحداث، والأشخاص والمشكلات، وفي تعبيره عن العواطف والمشاعر. ويبدو الاتجاه الإسلامي جلياً في شعر عدد من الشعراء مثل شعراء الدعوة الإسلامية، وقد نجد بذوراً أو لمحات منه في شعر بعض الشعراء ممن ليسوا من أصحاب الفكر الإسلامي، بل من دعاة الفكر الوطني أو القومي أو الأممي، وقد تظهر هذه اللمحات نتيجة للثقافة أو المشاعر، لا نتيجة النظرة الشاملة المنبثقة من التصور الديني الكامل.

تأثر الشعراء الفلسطينيون بما تأثر به كثير من مثقفي البلدان التي شهدت حروباً وويلات في العصر الحديث، فهزت القواعد الفكرية لهذا البلد أو ذاك، وزعزعت بنيانه الاجتماعي، وذلك منذ الهجمة الشرسة للحركات الاستعمارية التي ظهرت آثارها منذ القرن التاسع عشر للميلاد أو قبل ذلك!

ولما كانت فلسطين قد ظلّت مثل سائر بلاد الشام تحت الحكم العثماني، ثم رزحت تحت الانتداب البريطاني، وما رافقه من وعود بإقامة دولة لليهود في فلسطين وإعداد لذلك، فضلاً عن أحداث واضطرابات عديدة، بسبب رفض الشعب الفلسطيني للمؤامرات التي دُبّرت ضده، وتوقه إلى التحرر والاستقلال، فقد نشأت اتجاهات فكرية متعددة مثّلتها زعامات وقيادات قادت العمل الوطني منذ نشأة القضية الفلسطينية، وكان لشعراء فلسطين وكتّابها - من المسلمين والمسيحيين - دور كبير في مخ تلف الأحداث والمناسبات، فنطقوا بالشعر أو النثر، حيث عبّروا فيهما عن واقعهم وفكرهم ونظرتهم الشاملة للوطن والحياة والإنسان.

وفي ظل هذه الحركات تربّي كثير من الشبان أو تأثروا بها، فكان هذا التصور الديني الشامل الكامل الذي يحسب الدين عبادة وخلقاً وسيفاً ونظاماً.

١ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، د.ت، ج ١، ص ٤٤٨.

٢ - فايز، ترحيني: الإسلام والشعر، بيروت، طبعة أولى، ص ١٥-١٩، ١٩٩٠م.

## ثانياً: موقف الإسلام من الشعر

إن موقف الإسلام من الشعر يتحدد بالنظر إلى نوع هذا الشعر، وعلى سبيل المثال عندما وقف عدد من الشعراء موقفاً عدائياً من الإسلام والمسلمين كان لهؤلاء موقف عدائي مماثل تجاههم. لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرحب بالشعر الذي ينافح عنه وعن الدين والمسلمين، والعكس صحيح وإذا تتبعنا ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المحكمات التي جاءت على ذكر الشعر والشعراء نجدها تنزّه القرآن عن أن يكون شعراً أو أن يكون النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم شاعراً. ومما لا شك فيه أن "انتظام بعض الآيات القرآنية في تفاعيل معيّنة عند تقطيعها عروضياً لا يعني وجود أي نوع من الشعر في القرآن الكريم، وبخاصة أن الله تعالى نفى وجود مثل ذلك في الكتاب المبين"<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يميل إلى سماع نوع من شعر الجاهلية ويطلب سماع نشيد الشعر في أثناء الرحيل - أي السفر - ليقطع به مسافة الطريق الطويلة بين الرمال والكثبان، وفي حالات أخرى كان يحثّ شعراءه ليقولوا الشعر ارتجالاً، وذلك تشجيعاً لهم وتحفيزاً لقرائهم، أو ليردّوا على خصومه وينافحوا عنه وعن الإسلام والمسلمين، وكان يقول لشاعره حسان بن ثابت: "يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم أيّد بروح القدس"<sup>(٢)</sup>، وطلب إليه أن يردّ على الكفار قائلاً: "اهجهم وجبريل معك"<sup>(٣)</sup>، وقال لكعب بن مالك ذات يوم: "اهجهم، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل"<sup>(٤)</sup>. وروي أنه عليه السلام كان يقول: "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم"<sup>(٥)</sup>.

- ١ - نائف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس، بيروت، ط ١، ص ١٣١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ٢ - الزبيدي، الإمام زين الدين أحمد: مختصر صحيح البخاري، تحقيق إبراهيم بركة، دار النفائس، بيروت، ط ١، ص ٨١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٣ - حسني جرّار وأحمد الجدع: شعراء الدعوى الإسلامية في العصر الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ج ١، ص ٧، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ٤ - المصدر نفسه.
- ٥ - المصدر نفسه.

وفضلاً عن ذلك فقد استمع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعض النساء الشواعر، وإلى الشعراء الذين قصدوه للاستعطاف أو للاستنجد به في أمر من الأمور، وكان يقوم الشعر أحياناً ويوجه الشعراء، وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يتناشدون الشعر ويستمعون إلى الشعراء<sup>(١)</sup>.

وليس في القرآن الكريم تحريم لشعر المؤمنين الذين نافحوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام والمسلمين، ولم يرفض الخلفاء الراشدون هذا الشعر، وذكر أن بعضهم استمع إلى شعر هؤلاء الشعراء وأثابوا على الجيد منه، كما ذكر أيضاً أن عمر بن الخطاب تمثّل بإنشاد الشعر ونقده.

ويبدو جلياً أن الإسلام اهتم بالشعر، إذ كانت له في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وظيفة نبيلة هي المناقحة، والردّ على أعداء الله ورسوله، وبات الشعراء أداة بناء وإسعاد، وجنوداً ينافحون عن الحق والرسول والمسلمين. وخلاصة القول: إن الدين لا يتنكر للشعر الذي لا يتنافى معه، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً"<sup>(٢)</sup>.

#### ثالثاً: موضوعات الشعر الفلسطيني:

إن الدين ليس عبادة فحسب، ولكنه خلق ونظام حياة متكامل أيضاً، لهذا فإن للاتجاه الديني الوطني في الشعر دوراً مستمراً في معالجة الشؤون الدينية والدينيّة المرتبطة بمنهج هذه الحياة..، ومنها الدفاع عن النفس والأرض والمقدسات، ورفض الظلم والعدوان، والجهاد في سبيل الله وتحرير الوطن. وهو يرتبط بالوطن والمواطنين، ويعود عليهما بالخير والبركة، ومن هنا فإن الارتباط وثيق بين الاتجاه الديني والشعر، غير أن الشعر بات يُنظّم بصور تتلاءم مع واقع هذا العصر وأحداثه، ومنها: الأنبياء، الكتب السماوية، المناسبات الدينية، المقدسات، المهاجرون، الشهداء، الدعوة إلى السلم والرأي فيها، الشعر الديني في المرأة.

أما أبرز شعراء هذا الاتجاه - حسب التسلسل الزمني - فهم: الشيخ يوسف النبهاني، محمد العدناني، إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، إسكندر الخوري البيتجالي، هارون هاشم رشيد، علي هاشم رشيد، كمال بطرس ناصر، محي الدين الحاج عيسى، حسن البحيري، عدنان النحوي، محمد صيام، أحمد فرح عقيلان، أحمد محمد صديق، عبد الرحمن بارود، محمود مفلح، مأمون جرار، كمال رشيد، سعيد تيم، كمال الوحيد.

١ - نائف معروف: نفس المصدر، ص ١٤١-١٦٥.

٢ - الزبيدي، الإمام زين الدين أحمد: نفس المصدر، ص ٤٦٢ و ٤٧١.

وسنقدم في ما يلي نماذج متنوعة في الاتجاه الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر، أنشدها الشعراء إما من منطلقات دينية لدى بعضهم، أو أنها وردت كلمحات من دعاة الفكر الوطني أو القومي أو الأممي، نتيجة لشعور بواقع أليم، أو تجاوباً مع حدث بارز، ذات صلة بقضية الوطن والمواطن، سواء كان في فلسطين أو في أي قطر عربي آخر.

#### ١- الأنبياء والصحابة والقادة:

##### أ- الأنبياء:

الأنبياء مكلّفون بهداية الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وقد عاش معظمهم في فلسطين. وذكّر أن النبيّ محمداً صلى الله عليه وسلم صلّى بالأنبياء في المسجد الأقصى يوم أسري به من مكة إلى هذا المسجد، تأكيداً على إمامته ورفعة شأنه بين إخوانه الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، وتأكيداً على قدسية هذا المسجد أيضاً.

والمعلوم أن ثلاثة من الأنبياء - الذين لهم صلة ما بفلسطين - تلقوا كتباً سماوية، تلقى موسى عليه السلام التوراة، وتلقى عيسى عليه السلام الإنجيل، وتلقى محمد صلى الله عليه وسلم، القرآن، فتعلّموها وعلموها لمن اهتدى بهديهم. ولاقى الأنبياء معارضة شديدة من الكفار، الذين اضطهدوهم وعدّبوهم، ولكن الأنبياء صبروا واستمروا في نشر دعوتهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿أَنْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

١- ويشير إبراهيم طوقان إلى أن الأنبياء ملهمون، حملوا للأنام رسالات مليئة بالهدى والنور، حيث قال:

للأنبياء أرفع المقام      يُحَفُّ بالجلال والإكرام  
وعندهم روائع الإلهام      فيها الهدى والنور للأنام<sup>(٢)</sup>

فالأنبياء أهلٌ لأرفع المقامات، وتمام الكمال يجمل في الإيمان. وبعبارات قصيرة أعرب الشاعر عن معانٍ كثيرة بلغت قمة الجمال والقوة فكانت بليغة بجدارة.

١ - سورة النحل، الآية: ١٢٥.

٢ - ديوان إبراهيم طوقان، مكتبة المحتسب، عمان، ودار المسيرة، بيروت، ص ١٧٩، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. هذا مقطع من قصيدة "مرايح الخلود" التي أُلقيت في حفلة الذكرى الألفية للمتنبّي في الجامعة الأميركية في بيروت، في ٣١/٥/١٩٣٥م.

٢- ويشكو هارون هاشم رشيد إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حال اللاجئين الفلسطينيين، الذين باتوا تائهين في مهب الريح، طالباً شفاعته بقوله:

محمدُ يا رسولَ الله إني ضائع ضائع  
 وشعبي في مهبِّ الريح مثلي تائه جائع  
 تقاذفُهُ الرياحُ الهوجُ عبر العالم الخادع  
 فأين بشيرها للكون أنت منارها الساطع  
 وأنت بشيرها للكون أنت المرشد الوادع  
 محمدُ أنت نجدتنا وأنت حبيبنا الشافع<sup>(١)</sup>

٣- وفي قصيدة "اليتم" يعرض كمال ناصر لليتم الأول في الإسلام، النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيشهد بأنه رافع لواء الحق في الكون، بهر العالم نور كتابه، إذ حمل المشعل إلى ذروة الهدى والإيمان، قال كمال:

أحمدُ ذلك اليتيم المفقدي      رفعَ الحقَ فاستوى في نصابه  
 شعَّ في غابر الزمان نبياً      بهر الكائنات وهجَّ شهابه  
 حمل المشعل الذي مرَّزق الجهد      سلَّ إلى ذروة الهدى وهضابه<sup>(٢)</sup>

ب- الصحابة:

الصحابة هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم السائرون على نهجه قولاً وعملاً، وهم دعائم هذا الدين، الذين كان منهم الخلفاء الراشدون، ومنهم من كتبوا القرآن لدى جمعه، ومنهم من حفظوه، ومنهم من رواوا الحديث، ومنهم قادة الفتوحات، وقد أسهموا في نشر المبادئ السامية والعدل والمساواة، فأصبحوا منارات المسلمين، ومضرب الأمثال، فتغنَّى الشعراء بتقواهم وزهدهم، وأشادوا بأفعالهم وخصالهم.

١- ونظم إسكندر الخوري البيتجالي قصيدة جامعة رائعة عنوانها "عمر بن الخطاب"، قال فيها:

عمرٌ وهل يخفى القمر      ما كان ملكاً كالبشر  
 كان الملاك إلى الخلا      ثق أرسلته يد القدر

١ - الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ص ٣٩١، ط ١، ١٩٨١م.

٢ - الآثار الشعرية، قصيدة "اليتم"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٥٠، ط ١، ١٩٧٤م.

متزهداً متقشفاً	بالحزم والعدل اشتهر
متواضعاً لا يزدهي	لا يشمخراً إذا انتصر
متواضعاً سل عنه إيـ	ـلياء يومَ جنى الثمر
عزّ النصارى في خلا	فته فكان بهم أبرّ
وإخاءُ أحمد والمسيـ	ح ثمار هاتيك الشجر
ساس الرعية قادراً	متوخياً بُعدَ النظر
يتفقّد الضعفاء يسـ	دي عونه لمن افتقر
ذكرى أبي حفص عمر	ذكرى المفاخر والعبر <sup>(١)</sup>

أرى أن الشاعر لم يغادر الحقيقة في قصيدته، التي صور فيها عدل عمر وزهده وتواضعه وحزمه وحمايته للنصارى، وتواضعه يوم تسلّم القدس من بطريكها عام ٦٣٧م، رافضاً لبس الخزّ. وكان يتفقّد الضعفاء والفقراء، حتى أنه حمل على كتفه - ذات يوم - مؤونةً لعائلة فقيرة، وقال لعامل أراد حملها عنه: إنك لن تحمل عني وزري يوم القيامة. هذا فضلاً عن الفتوحات الواسعة التي تمّت في عهده. وحياة عمر مليئةً بالفضائل والمآثر التي نحن أحوج ما نكون إليها.

٢- ويتغنّى الشاعر علي هاشم رشيد في قصيدته "خالد بن الوليد" ببطولة خالد، الذي خاض معارك كثيرة، من مؤتة إلى العراق إلى اليرموك، وسطرّ أسمى معاني البطولة في التاريخ، ودُعي "سيف الله المسلول"، ومما جاء في هذه القصيدة الطويلة:

قم للبطولة واهتف ثم حيّها	وهي خالدٌ محيبيها وراعيها
كانت مضبعة للناس قد هدّمت	حتى بناها من الأمجاد بانبيها
يا سيرةً سطرّ التاريخ قصّتها	أعظم بمن كان للتاريخ يملبيها
قد سطرّت بمداد الفخر صفحّتها	ومن صميم العلا صيغت قوافيها
فليدرس المجد من يبغيه عن بطل	قد شاد للعرب صرحاً في معاليها
في شخصه كان جيشاً ناصراً غلباً	آلى إلى العرب فتكاً في أعاديها
يا خالدَ المجد من سمّك خالداً هل	درى خلودك في التاريخ مسميها
قد رضعت العلا في المهد فانتصبت	فيك المعالي لتنبئ عن مربيها <sup>(٢)</sup>

١ - ديوان العنقود، مطبعة بيت المقدس، القدس. د.ت. ص ١١٠-١١٢، وحفص هو الشبل أي ولد الأسد،

وحفصة هي أم المؤمنين و بنت عمر بن الخطاب، وبها كُني عمر.

١ - ديوان أغاني العودة، دار ممفيس للطباعة، القاهرة، ص ٨٩-٩٧، ١٩٦٠م، ربا: نما وزاد. أربى: زاد.



يدعونا الشاعر إلى الوقوف تحية للبطولة التي تتجسد في خالد بن الوليد، ويحسبه الشاعر من أحميا البطولة ورعاها، ثم بنى منها صرح مجد للمسلمين، وسطر فيها صفحات مشرقة في التاريخ، فباتت مبعث فخر العرب ومصدر اعتزازهم...

وتبدو موسيقى هذا الشعر المطبوع ترنّ في الأذن، بينما ترسخ معانيه في القلب، ويزدان هذا الشعر بالبحر البسيط، الذي يتلاءم طوله وتفعيلاته مع هذه المعاني، مما يزيده رونقاً وجمالاً.

### ج- قادة أبطال:

أشهر هؤلاء القادة بعد العصر الإسلامي هو المجاهد البطل صلاح الدين الأيوبي، الذي آله احتلال الصليبيين لبقعة من الأرض الإسلامية، فعمد إلى تخطيط سليم، بحيث بدأ بتوحيد المناطق المحيطة بالصليبيين، واهتم بتدريب الجنود وتسليحهم، ثم توجه إلى مقاتلة الصليبيين بشجاعة وحكمة، فانتهز عليهم في معركة حطين سنة ١١٨٧م، ثم توالى انتصاراته.

يصوّر إسكندر الخوري البيتجالي بطولات صلاح الدين الأيوبي في قهر الصليبيين، وبناء صرح مجد تليد، وحلم كبير، فكان بذلك مفخرة لنا وقدوة، لعل الزمان وجود علينا بمثله فيحرر الأرض ذاتها مرة ثانية.

قال الشاعر في قصيدة "صلاح الدين":

أراك اليوم فخر الآخرينا	صلاح الدين فخر الأولينا
وكنت لأمة العرب الأميّنا	وكنت لشرقنا حصناً حصيناً
فإنك في عداد الخالدينا	وان تك يا صلاح الدين ميتاً
لنا كي نأمن الشرّ الدفينا	أقمت لنا المواسم خير ذكرى
فلسطيناً بزّي الزائرينا	وقد خفت الأجانّب يوم حلّوا
قد اكتسحوا البلاد مسالينا	بعيد "الفصح" فانقلبوا جنوداً
"أباح لنا صروح المجد دينا"	يذكرنا صلاح الدين من قد
من اليوم الذي يتذكروننا <sup>(١)</sup>	فحقّ لقومنا أن يستفيدوا

وهكذا يبدو أن الشاعر كان منسجماً مع التاريخ، فيما جرى منذ قرون، وقد بدت القصيدة واضحة المعنى قوية المبنى، كلماتها سهلة مألوفة، ودلالاتها واضحة، نُسِجَت كلماتها على البحر الوافر، ذي التفعيلات الطويلة التي تنسجم مع هذا الشعر.

## ٢- الكتب السماوية:

أ- يتمنى الشاعر محمود سليم الحوت أن تسود الوحدة منطقة الهلال الخصيب ومصر، مؤكداً وجود عوامل الوحدة، فالشعب واحد، وتراثه واحد، وأن العروبة لن تحيد عن الاهتداء بنوري القرآن والإنجيل، حيث يقول:

متى أرى الوحدة السمحاء باسطةً      حنانها في الهلال الخصب والنيل  
فلا سياسات أرباب تحاك لنا      ولا مقامات أصنام تماثيل  
ولا حدود مريبات تمزقنا      وترفع السد بين الميل والميل  
ونحن شعب لسان الله يجمعنا      وكل ما ورثته وثبة الجيل  
إن العروبة لن ترضى، وقد أثموا      بغير نورين: قرآن وإنجيل<sup>(١)</sup>

من هذه القصيدة ومن واقع الحياة ندرك أنه بوحدة المسيحيين والمسلمين يقوى العرب ويقهرون الصعاب ويحققون الأماني.

ب- ونشرت في ديوان عبد الرحيم محمود عدة أبيات من قصيدة "القرآن الكريم" المفقودة، جاء فيها قوله:

كتاب أضاء دياجي الظلم      وأهدى الأنام لأهدى أمم  
وكان الرعاة رعاة الشياه      فصار الرعاة رعاة الأمم  
كلام العظيم عظيم الكلام      فجل العظيم وجل الكلم<sup>(٢)</sup>

## ٣- الأماكن المقدسة:

توجد في فلسطين أماكن مقدسة كثيرة، أهمها الحرم الإبراهيمي والمسجد الأقصى وكنيسة المهد. وقد نظم الشعراء فيها قصائد عديدة، منها:

أ- قصيدة يؤكد حسن البحيري فيها أن النار تشتعل في صدره وهو يرى كل مكان في المسجد الأقصى مغموماً، مكتئباً لوقوعه أسيراً بيد البغاة، وليس هناك من ينتصر له، فيقول:

وَقَفْتُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أُسَائِلُهُ      وَالنَّارُ فِي جَنْبَاتِ الصِّدْرِ تَسْتَعِرُّ  
مَا بَالُ مَحْرَابِكَ الطُّهْرِيِّ تَغْمَرُهُ      ظِلَالُ غَمٍّ فِي دَجَاهَا لَيْسَ يَنْحَسِرُ

١ - ملاحم عربية، دار الكتب، بيروت، ص ١٩٦، ١٩٥٨م. وهذا المقطع من أناشيد عربي من فلسطين ضل في الآفاق بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م.

٢ - ديوان عبد الرحيم محمود، ص ٢٥٨. دار العودة، بيروت، ص ٢٥٨، ط ٣، ١٩٨٧م.

وما لمنبرك القدسيُّ مُكْتَتَباً  
وللمآذن قد غابت أهْلَتْهَا  
فقال مُسْتَعْبِراً والرَّوْعُ ينطقه  
رمى البُغَاةُ رحابي رميَ منتقم  
وليس لي من ذوي القُربى أخو شَمَمٍ  
وليس لي من طُغَاةِ الجورِ مُنْتَصِرٌ<sup>(١)</sup>  
فما عليه لصوتِ الحقِّ منتبِرٌ  
فما عليها لإشراقِ الهدى أُنْزُرُ  
والأرضُ من تحته البركانُ ينفجرُ:  
وليس لي من مرامي حقدهم وَزَّرُ

ثم يعرِّج الشاعر على "الناصره" و"كنيسة القيامة" و"بيت لحم" فيصف أحوالها قائلاً:

ففي القيامة هاماتٌ مُنْكَسَّةٌ  
يا ويلنا أُسْكِنْتَ أجراسُها وغداً  
في ذُرا "بيت لحم" فوق "مذودها"  
فلا ترانيمُها فيها مُرْتَلَّةٌ  
و"جارة الطور"<sup>(٢)</sup> والأحداث تحجبها  
مادت بأحزان أيقوناتِها الجُدُرُ  
جراحُها وتصاريفُ تكابدها  
مَشَتْ ركابُ بها واستصرخت نُذُرٌ<sup>(٣)</sup>  
يُدْمي أكاليلها الشوكُ الذي صَفَرُوا  
يبكي لآلام "فاديها" بها الحجرُ  
و"مهدها" مدُّ من ليلِ الأسي أُرُزُ  
وليس تحت قباتِ النورِ معتمِرُ

نحسُّ في هذه القصيدة أن قلب الشاعر يكاد ينفطر ألماً ولوعة على ما حلَّ بفلسطين ومقدساتها الإسلامية والمسيحية، من احتلالٍ وامتهانٍ وإذلالٍ وتدني، مثلما نحسُّ أن المقدسات ذاتها تبدو صامتة مكتئبة تكادُ تنبتر، ومع هذا كله فهي لا تجد ذا حميةٍ وعزةٍ من ذوي القربى ينتصر لها، ويحررها من دنس المحتلين البُغَاة.

إنها قصيدة مؤثرة تكشف لنا عن إحساس صادق لدى الشاعر بحرمة المقدسات، واكتئابها، والضرورة الملحة لإنقاذها، والضيق والدهشة من الخنوع والسكوت على احتلالها، متمنياً أن يهبَّ المسلمون إلى نجدتها، عليهم يتأسون بالخليفة المعتم، الذي سارع إلى نجدة امرأة مسلمة مظلومة في "عمورية"...

ب- وفي قصيدة أخرى يعرب الشاعر كامل الدجاني عن حنينه وشوقه إلى المحراب والحرم والدار التي أقصي عنها فيقول:

- ١ - لفلسطين أغني، قصيدة "المسجد الأقصى" مطبعة دار الحياة، دمشق، ص ٨٣-٩٤، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ٢ - يعني بـ "جارة الطور" الناصرة. وقد أنشد البحيري هذه القصيدة في المسجد الأقصى في صيف ١٩٤٨م، قبيل وداعه لفلسطين...
- ٣ - لفلسطين أغني، قصيدة "المسجد الأقصى" ص ٨٧-٩٤.

حنينٌ لا يروِّحُ وادِّكار	وآلامٌ وآمالٌ تثَّـارُ
إلى محرابِ روحك في صفاءٍ	توجَّهَ كلِّما طَلَعَ النهارُ
إلى الحرمِ الذي اجتمعت عليه	قوى الدنيا، فأجلتها الشغار
إلى الدار التي أُقصيت عنها	حُدأةُ الركبِ شوقٌ وادِّكارُ <sup>(١)</sup>

#### ٤- المناسبات الدينية

إن شعب فلسطين يجلِّ المقدسات والمناسبات الدينية ويوليها عناية فائقة. وهذه المناسبات عديدة أهمها: عيد الفطر، عيد الأضحى المبارك، عيد المولد النبوي، ذكرى الإسراء والمعراج، ليلة القدر، شهر رمضان المبارك وعيد الميلاد المجيد. وقد نُظمت فيها قصائد خاصة بهذه المناسبة أو تلك، أو جرى ذكرها في قصائد أخرى متنوعة، وهذا يدل على اهتمام المسلمين والمسيحيين بها، وتقديرهم لها، وهو أمر طبيعي بالنسبة إلى شعب الأرض المقدسة، الذي اشتهر بإقامة احتفالات المناسبات الدينية، وجعل لها مراسيم خاصة، ولا سيَّما في عيد الفطر، وعيد الأضحى، وليلة القدر، وعيد الميلاد، حتى باتت موضوع إعجاب شعوب العالم كافة.

أ- وبمناسبة شهر رمضان المبارك نظم عبد الكريم الكرمي قصيدة عنوانها: "رمضان السمح الكريم" جاء فيها:

الأهازيج في السماء وفي الأر	ضِ تَحْيِي شهر الهدى والنور
والسَّنا يملأ القلوب ويجلو	عن محيَّا الدنيا ظلام الشرور

\*\*\*

رمضان السمحُ الكريم يد الله	على العالمين عذبُ النمير
ضَمَّحَ العرب بالطيوب فكانوا	وحدةً في صحيفة المقدور
إيه شهر الصيام طهَّرت رُوحِي	وفؤادي وما يجنُّ ضميري
في لياليك أسمعُ النغمَ العلويَّ	يسري مغلغلاً في الدهور
أنتَ من علم المساواة، فالناسُ	سواءً، في بُردك المنشور
أنتَ وَحدَّتْهم فلا فرق ما بين	يتيمٍ وبين ربِّ سرير
عالمٌ أنتَ من صفاءٍ وطهرٍ	وأمانٍ وأنتَ دنيا شعور <sup>(٢)</sup>

١ - في غمرة النكبة، قصيدة "المحراب"، د.م، دن، ص ٢٠، ط ١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١ - ديوان أبي سلمى، عبد الكريم الكرمي، دار العودة، بيروت، ص ٣٤، ط ٢، ١٩٨١م.

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن شهر رمضان "أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار"، فيه أنزل القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(١)</sup>، وفيه يلتقي المسلمون في المساجد والبيوت بقلوب مفتوحة للوعظ والإرشاد، وتُكَبَّلُ الشياطين في الأصفاد، ويُجزل العطاء من ربِّ العباد. فرمضان خيراته كثيرة، وهو أكبر من أن تحيط به قصيدة، وأجمل الشعر هو ما يقال في شؤون الدين والفضائل ومكارم الأخلاق، لأن نجاحنا وتقدمنا يرتكز عليها جميعاً أولاً وأخيراً، قبل غيرها، رغم أهميته.

ب- وبمناسبة عيد الفطر يوجّه هارون هاشم رشيد، في سنة ١٩٥١م، أناتٍ وأمنياتٍ في قصيدة له إلى إخوانه اللاجئيين، الذين يطالعون العيد بحسرة ولوعة، فيقول:

أعيد الفطر، هل للآجئ المحروم من فطر؟  
وقد أسلمه العاتون.. للأسقام والفقير...  
أعيد الفطر هل تدري ترى أم أنت لا تدري؟  
أتدري أن خير الناس قد ضلوا على الفقير؟  
وهام الإخوة الأحرار، من قطر إلى قطر  
وليس لهم سوى التأنيب والتقريع والزجر<sup>(٢)</sup>

ج- ويلتفت الشاعر حسن البحيري إلى ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم مستلهماً الذكرى الكريمة بقوله:

يا يوم ميلاد النبي محمّد	يا مفرداً في الدهر عن أضرابه
ما كنتَ ذكرى مأكّل أو مشرب	أو ملبس تُغري بُروقُ سراهبه
ما كنتَ إلاّ عبرةً لأولي النهي	كرّ الزمانُ بها على أحقابه
ما كنتَ إلاّ ذكراً وضّاءةً	ضاءت لذكراها سبيل صوابه <sup>(٣)</sup>

د- وعندما قصفت سلطات "إسرائيل" كنيسة القيامة في ليلة عيد الميلاد أطلق كمال ناصر، الشاعر الوطني، المحبّ للنبي عيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، شكواه من احتلال مهد المسيح، ومعرج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولرؤيا شعبه مشرداً، ويتمنى عليه أن يغضب

٢ - سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

٣ - الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣١.

١ - ابتسام الضحى، القاهرة، ص ٥٩-٦٠، ط ١، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

للمظلومين وينقذهم وبلدهم ممن ظلمه قبلهم.. وأن لرسالة المحبة أن تغضب وتنتقم؛ ويقول في قصيدة "عيسى بن مريم":

يا ليلة الميلاذ هذا شاعرٌ يشكو الأذى من ليلة الميلاذ  
أحلامه ذبلت، وعاجلها الردى فذوت على غصن الصبا المياد  
ما للرؤى العمياء تجرحُ مقلتي تنتابني في صحتي ورقادي  
فتموت أغنية المسيح على فمي أماً، ويخرسُ كلُّ طيرٍ شادي  
عيسى بن مريم قد عرفتكَ هادئاً فاغضب ولو في ليلة الميلاذ  
واشهد مآسي الغرب، كلُّ جريمةٍ قامت هنا باسم المسيح الفادي  
أما المحبة فلتحوّل غضبةً هوجاءً، تذكي الحقد في الأغماد  
أما الحنان فسوف نمشي باسمه ثاراً، لتعلو رايةُ الأمجاد<sup>(١)</sup>

إن بهجة الأعياد قد تلاشت في فلسطين، بعد أن خيمت ظلال الاحتلال عليها، فتبخر الأمن والسعادة، وغارت الفرحة والبسمة، فالشعب ممزق ومكبّل بالأصفاد، والمقدسات كئيبة حزينة تنن وتنوح تألماً مما حلّ بها وأهلها.

هـ- ومن ذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام يستلهم عبد الرحيم محمود المعاني الخالدات، ويوضح أن هذه الهجرة لم تكن فراراً من أعدائه، وإنما تجميعاً لقوى، ما لبثت أن كرت عليهم واحتلت مكة، وحطمت الأصنام وانتشر الإسلام، وبأمل الشاعر في سنة ١٩٤٥م أن تلي هجرة شعبه - إذا حدثت كما توقع - عودة مظفرة، مثلما حصل إثر هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لم تكن هجرة طه فرّةً إنما كانت على التحقيق كره  
كانقباض الليث ينوي وثبةً وانقباض الليث في الوثبة سوره  
نصروا الله فلم يخذلهمو بل جزاهم ربهم فوزاً ونصره  
فمشوا في الناس نورا وهديا ويدوا فوق جبين الدهر غره  
ركزوا أرماحهم فوق العُلا وحدي الحادي بهم عزاً وشهره  
لا يصون الحد إلا جدّةً ويذيب القييد إلا نار ثوره  
هاجر الهادي إلى رجعي فإن نحن هاجرنا فماذا بعد هجره؟  
وإذا نحن خرجنا في غدٍ هل يحنّ الناس للأقصى بزوره؟  
ليس يحمي الحق إلا فتكةً ويعيد الحق فينا غير قسره<sup>(٢)</sup>

٢ - الآثار الشعرية، ص ٣٤٣ و ٣٤٤.

١ - ديوان عبد الرحيم محمود، ص ٢٦٠-٢٦٥، والسورة وثبة، أو غضب وهياج.

لقد أحسَّ الشاعر عندما صَوَّر هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بانقباض الأسد حتى يعود وينقضَّ على فريسته، غير أن الشاعر يشكُّك في قدرة الفلسطينيين على العودة إذا نزحوا، ويقرر أن الحق لا يُصان بغير القوة، ولا يُعاد بغير سحق الأعداء.

و- وكان لذكرى "الإسراء والمعراج" الخالدة أثر بالغ في نفوس الشعراء، وهي التي تمتلئ بالعبير والفوائد. ولكم يتألم الشعراء عندما تمرَّ ذكراها، والقدس ترزح تحت الاحتلال، والشعب بين مكبَّل ومشرَّد.؟

وهذا هو الشاعر هارون هاشم رشيد يقول مخاطباً أرض الإسراء والمعراج عام ١٩٥٥م:

إسألوها كيف لبَّينا النداءَ	ومشينا نقحم الهولَ اقتداءً
ليت شعري كيف سرنا عزُّلاً	نتحدَّى البغي... عزماً ومضاءً
ليت شعري أين منها شعبيها	شيعت "يافا" و"حيفا" البسلاءَ
أين الإسراء يبدو زاهلاً	والبراق الحقُّ يستوحي السماءَ
ليت شعري أين أبطال الحمى	ما لهم لا ينقذون الإسراءَ
وحماة الدين ما أقعدهم	عن فلسطين فما شدُّوا اللواءَ
كيف لا تدفعهم نخوتهم	والقداسات تنادي النُّصراءَ
صرخات لو أصابت جبلاً	لهوى من هولها حزناً وناءً <sup>(١)</sup>

لقد قاتل الشعب الفلسطيني بسلاحٍ خفيف، بينما تقاعس حماة الإسلام والعروبة عن زجِّ سلاحهم الثقيل في أقدس معركة، وعجباً كيف لا تدفعهم نخوتهم إلى نجدة المقدسات التي تستصرخهم، والتي لو أصابت صرخاتها جبلاً لهوى من قوتها حزناً وألماً.

إن هذا استصراخ فعليٌّ من الشاعر لنجدة المقدسات، وهو أسمى مهمة للشعراء في هذه

الظروف. وفي هذا المقام لا بدّ من القول: هل للمقدسات من معتصم يلبي نداءها؟

ز- وفي ذكرى "غزوة بدر" ألقى الشاعر محمد العدناني قصيدة بعنوان: "ذكرى بدر" في مهرجان أقيم بهذه المناسبة في القدس سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م قال فيها:

سلوا التاريخ عما قد فعَلنا	وقد دارت رحي بدرٍ طحُونا
سحقنا الشُّركَ فيها دون لين	ومرَّقتنا صفوف الكافرينا
لكلِّ ثلاثةٍ منهم شجاعٌ	من الشُّوس الأباة المؤمنينا

إذا شَدَّتْ كُماةُ العُربِ مادت  
وحسبهم الرسولُ أحمأ جلاذِ  
فيمعن في جناحيه اقتحاماً  
ومن لم يقضِ خَلْفَه طعيناً(١)

لقد أحسن الشاعر تصوير مجريات المعركة، وأحسن أيضاً في توجيه النداء إلى بني قومه، علَّهم يعيدون عهد بدر، ويكونون كإخوان الصفا متحابين موحدّين، يقولون كلمة الحق، ويجاهدون في سبيلها، كيف لا والقوة في الوحدة، والضعف والانزهاام في الفرقة؟!.

##### ٥- الظلم والعدوان يقابلهما صبر وصمود:

إن تاريخ فلسطين يعجُّ بقصص عدوان اليهود على العرب في فلسطين، مسلمين ومسيحيين، ولا سيَّما بعد قيام دولة "إسرائيل"، ومنها مذبحه دير ياسين سنة ١٩٤٨م، ومذبحه كفر قاسم سنة ١٩٥٦م، وحريق المسجد الأقصى في ٢١/٨/١٩٦٩م، وعمليات القتل الجماعي والفردى والسجن والظلم والاضطهاد والتدمير المتكررة في قرى ومدن فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨م يعرفها الداني والقاسي، وهي تدلُّ على الروح الأنانية والإجرامية والعدوانية عند اليهود، الذين يشهد التاريخ بحبهم للمال والرِّبا، وسعيهم للأذى بالنفاق والدهاء والخداع، حتى لم يسلم منهم كل من أحسن إليهم، وبمقدمة هؤلاء الأنبياء أنفسهم، وأخص بالذكر النبي عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وإذا قُتِل يهودي مجرم وانتقم منهم هتلر يقيمون الدنيا ويقعدونها، وضاقَت دول أوروبا بهم وأساليبهم ونواياهم الدنيئة ذرعاً فعملت على التخلُّص منهم عبر تشجيعهم على التوجُّه إلى فلسطين وإقامة دولة لهم فيها.

ومما يُعجب له أن الذي يصرخ مدَّعيّاً أنه مظلوم يقوم بارتكاب جرائم أكثر عدداً وأقسى بشاعة، وكأن قتل يهودي مجرم حرام، وقتل عشرات الآلاف من المسلمين العرب لا أهمية له، وفعل ذلك حلال. يدل على ذلك ادعاؤهم بأنهم شعب الله المختار، وأن بقية الناس وُجدوا ليكونوا خدماً لهم. وقد بلغ بهم الصلف والعنت حد إنكار حق الفلسطينيين في وطنهم، فاعتبروهم أ غرباً يجب التخلُّص منهم. والحقيقة عكس ذلك: إذ ليس لجموع اليهود القادمين حقّ في فلسطين، حيث لم يكن في فلسطين من اليهود إلا قلة قليلة زهيدة حدَّدها المؤرخون مراراً وتكراراً.

على أية حال "فإن حقاً وراءه مطالب لن يضيع"، و"إن الله يمهّل ولا يهمل"، و ﴿ وَسَيَعْلَمُ

الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (٢).

١ - ديوان اللهييب، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٥٤م، ص ٦٧ وما بعدها.

١ - سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.



ويوم حَصَدَ جنود "إسرائيل" خمسين مواطناً في قرية كَفَرِ قَاسِمِ، ليلة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م ظلماً وعدواناً، قال توفيق زياد في قصيدة "كفر قاسم".

ألا هل أتاك حديث الملاحم  
وذبح الأناسي ذبح البهائم  
وقصة شعبٍ تُسَمَّى  
حصاد الجماجم  
ومسرحها..

قرية اسمها كفر قاسم؟! (١)

وعندما ضاقت سلطات الاحتلال ذرعاً بتوفيق زياد أُلقت به في سجن الرملية، في أيار عام ١٩٥٨م. وتسربَّ من خلف قضبان السجن المشؤوم صوت شاعرٍ عنيدٍ استطاع المضيَّ إلى الأمام، حيث زرعَ السجنُ في أعصابه بذور الثورة، وألقى في قلبه شعلة العزم المتوقد، فراح يصيح من وراء القضبان معلناً صموده وكبرياءه:

ألقوا القيود على القيود  
فالقيود أوهى من زنودي  
لي من هوى شعبي  
ومن حُبِّ الكفاح، ومن صمودي  
عزمٌ.. تَسَمَّرُ في دمي  
ناراً على الخطب الشديد!

ويحتقر الطغمة الحاكمة الآثمة.. ويرفع جبينه عالياً متحدياً.. ويقول:

لا تحسبي زرد الحديد  
ينال من همم الأسود!  
ويضيف غير عابئ بالظلم والاضطهاد، مؤكداً إيمانه بالنصر وعود النازحين:  
يا طغمة الحكام زيدي  
هل لاضطهادك من مزيد..؟  
ألقي القيود على القيود

٢ - ديوان توفيق زياد، مجموعة "ادفنوا أمواتكم وانهضوا"، دار العودة، بيروت، د.ت، ص ٣٠٦.

سيعود شعبي في ضياء الشمس  
من خلف الحدود  
سيعود.. رغم النار، والأغلال  
خفاق البنود...<sup>(١)</sup>

والواقع أنه ليس بمقدور شعراء غير مجرّبين أن يقفوا هذه المواقف، وأن يصمدوا هذا الصمود، وأن يدركوا هذه الأبعاد الثورية، وأن يتحملوا العذابات ويصبروا ويدعوا للبقاء والنضال، ولهذا عبّروا عن إيمان بحتمية النصر، وعودة النازحين، وقد بشرّ الله تعالى الصابرين بالأجر العظيم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأعجب حيث أرى أن الظلم الذي حاق بالمسلمين من اليهود في هذا العصر، فاق كل ظلم، ومع هذا لم يثر المسلمون ولا العرب جميعاً، بل ها هم يكتفون بالمؤتمرات والبيانات والخطابات، ويتركون الشعب الفلسطيني وحيداً في الساح، بينما تجتمع من حوله قوى البغي والعدوان في العالم!!...

وإذا تذكرنا كباثر الإثم التي تودي بأصحابها إلى النار، والتي حددها الإمام شمس الدين الذهبي<sup>(٣)</sup>، نلاحظ أن اليهود في مقدمة المتوغلين في هذه الآثام، ومنها الظلم والقتل والربا، والكذب والفتنة والمكر والغدر والأذى.

٦- تضحيات واستشهاد:

إن الشعب الفلسطيني يدافع عن حقوقه باستمرار، ويضحى في سبيلها بالأموال والأنفس، ولم يترك الفلسطينيين وسيلة في الجهاد والتضحية إلاّ وسلكوها "قاتلوا بالخنجر والبندقية والمدفع، وها هم أطفال فلسطين العزّل يقاتلون بالحجارة، وتلقوا - مثل آبائهم - رصاص العدو بصدورهم، فسقط منهم الآلاف بين جريح وشهيد، ولم تنتههم جميعاً أساليب الاضطهاد والحبس والقتل والتشريد عن رسالتهم في الدفاع عن كرامتهم وحقهم وتحرير بلدهم، ولن يهدأ لهم بال قبل تحرير وطنهم، ويكفي

١ - ديوان توفيق زياد، مجموعة "أشدُّ على أيديكم"، ص ١٠٢-١١٢.

٢ - سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

٣ - انظر: كتاب الكبائر صفحات متفرقة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الشهيد فخراً وعزّةً وشرفاً أن يُنزل الله الآيات التي تشهد بفضله، وتضمن تكريمه وخلوده بالجنة، ومنها قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 وأيّة عزّة وسعادة وكرامة أفضل من هذه التي ينالها المجاهد في سبيل الله ووطنه، فإن انتصر ظفر بالنصر والأجر والتكريم، وإن استشهد ظفر بجنة الخلد التي هي أعظم أمنية وفوز. "ولئن كان أناس يعبرون إلى الموت عن طريق الحياة، فإن الشهيد يعبر إلى الحياة عن طريق الموت". وهذا هو الشاعر سعيد عبد الهادي تيم يكرم الشهيد بقصيدة له بعنوان "مرثية شهيد" حيث يقول:

إرفعوه إرفعوه	فوق أعناق الرجال
وازرعوه في جبين الـ	ليل نجماً في الأعالي
أي أم لم تزغرد	أي رأس غير عالي
أي طفل لم يردّد	عاش أبطال النّزال

\* \* \*

حين طارت قَبَرَات	الحقل غنّت بانفعال
ربّ حيّ عاش ميتاً	عمره فوق الزوال
وشهيد ليس يفنى	راقـد في كل بال <sup>(٢)</sup>

#### ٧- متطلّبات النصر والتحرير: العودة إلى الله، إعداد العدة، الجهاد، العلم والأخلاق:

إن طاعة الله واجبة على كل إنسان، و"إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه". ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٣)</sup>. أجل، فالله يدافع عن الذين يطيعونه فيؤيّدهم وينصرهم.  
 والإعداد للقتال أمر ضروري لتحقيق النصر والتحرير، ورفع راية الدين والقيم، والانطلاق في موكب الحضارة والتقدم. والإعداد نوعان: معنوي ومادي، فالمعنوي يتلخص في تثقيف المواطنين والجنود وتحسين سلوكهم، ونشر حقائق القضية المطروحة، وإقناع شعوب وحكام العالم بها. أما المادي فيتلخص بإنشاء جيش كبير وتدريبه، وتأمين أفضل الأسلحة المتطورة له، سواء عن طريق التصنيع أو الاستيراد، أو تأمين فنيين وأسطول بحري وجوي قويين، أو ذخيرة وبتترول ومال وطعام يكفي لفترة طويلة.

٢ - سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

٣ - حسني جرّار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ٥، ص ٦١، ط ١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١ - سورة الحج، الآية: ٣٨.

ولا بد أن يكون الحاكم والقائد قدوة للفرد في الخلق والقتال، ويشارك الجميع دون أدنى تقاعس في الجهاد، الذي هو فرض عين في شرع الإسلام، لا يستثنى منه إلا من لا يستطيع لسبب صحيٍّ أو قاهر.

فتحرير الأرض وتثبيت الأمن والعدل والسلام لا يتم إلا بالجهاد المرير، لا بالتوسل والمقايضات والمساومات الرخيصة، المهينة بحق الإسلام والمسلمين. والجهاد وحده هو طريق العزة وسبيل النصر ومفتاح السيادة، وباب الخلود. والمجاهد يتربص إحدى الحسينيين: إما النصر وإما الشهادة. والحرية تنتزع بالقوة والتضحيات ولا تنال بالاستجداء.. قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١)، وقال أيضاً: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (٢)، وقال كذلك: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (٣)، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٤).

أ- وهذا هو الشاعر أحمد فرح عقيلان يؤكد أن حقوق العرب في فلسطين قد تُسترد بالقتال، ولكنها لم ولن تُسترد في مجلس الأمن، ويقول:

لا تُردُّ الحقوق في مجلس الأم -ن ولكن في مكتب التجنيد!  
إن ألفي قذيفة من كلام لا تساوي قذيفة من حديد! (٥)

وبالفعل فإن الكلام الكثير ضدّ العدو لا يؤثر فيه ولا يزعجه عن الأرض المحتلة مثل قذيفة واحدة. وحكم الشاعر هو حكم خبير مجرب، ينشد أكثر الطرق إلى الحلول وأنجعها.

ب- أما الشاعر محمد صيَّام فينادي الناس إلى الجهاد، لأنه الطريق الصحيح الذي يضمن تحرير فلسطين، وهو الطريق الذي سلكه الفاتحون الأبطال والقادة العظام في تاريخنا، أمثال خالد بن الوليد وطارق بن زياد وصالح الدين الأيوبي، ويقول:

٢ - سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

٣ - سورة الحج، الآية: ٧٨.

٤ - سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

٥ - سورة محمد، الآية: ٧.

١ - حسني جرّار وأحمد الجعد: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج ٥، ص ٦٨ و٦٩.

فالجهد الجهاد يا أيها النا  
س بعزمٍ وقوّةٍ ومضاءٍ  
تحت رايات خالدٍ وصلاحٍ  
وشعارات سيّد الأنبياءِ  
فطريق الجهاد بالرغم مما  
فيه من شقوةٍ ومن أعباءِ  
هو ما لن نحيد عنه فبعداً  
لدعاة الحلول والجبناء<sup>(١)</sup>

ج- ويعلن الشاعر محمد صيّام أن الشعب لن يكلّ من الجهاد، ولن يتزحزح عن حقه، وسوف يستمر في النضال والقتال حتى يحقق النصر ويعود عودة الظافرين:

فأنا ابن شعبٍ لن يكلّ من الجهاد ولن يلين  
ولسوف يشعلها لظيّ حتى يعود إلى العرين<sup>(٢)</sup>

د- ويدعو الشاعر عدنان النحوي إلى العلم والأدب بقوله:

هَبُوا إلى العلم واستعصوا بقلعته  
فإنّ حصن وعزّ الدولة الأدب  
هذي المعازل آمالٌ لأمتنا  
مصانع يرتجيها الشرق والغرب<sup>(٣)</sup>

فالعلم ينير العقول، ويوقظ المشاعر، وهو سبيل التقدم والحضارة. وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد رفع الله العلماء درجات عالية بنصّ قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

ه- ويقول الشاعر محيي الدين الحاج عيسى في العلم:

وهل كبناء العلم شُيّدت منائر  
تنير على الدنيا بنور رشاد<sup>(٥)</sup>

## ٨- الدعوة إلى السلم والرأي فيها:

بعد أن قامت دولة "إسرائيل" على أساس اغتصاب الأرض العربية من أهلها وتشريد معظمهم في أقطار العالم أخذت تدعو للسلام والصلح مع العرب في حدود الأمر الواقع، رغماً عن أنف العرب جميعاً، متجاهلة ما لحق بهم من ويلات وتشريد ومعاناة وذلّ وهوان.

٢ - مأمون فريز جرّار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار البشر، عمان، ص ٥٧، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣ - حسني جرّار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج ٢، ص ٧٩.

٤ - مأمون فريز جرّار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٢٦.

١ - سورة المجادلة، الآية: ١١.

٢ - من فلسطين وإليها، حلب، ص ٢٨٢، ١٩٧٤م.

واثر نكبة عام ١٩٤٨ م والى العرب رفضهم لهذه الدعوة، واستغربوها ورفضوها في مؤتمرات كثيرة أشهرها مؤتمرات القمة العربية.. لكن أعوان "إسرائيل" راحوا يعملون في الخفاء، ويبدلون الجهود المتواصلة لتليين المواقف: وسلخوا تجاههم سياسة الترغيب والترهيب حيناً، و"الحرب الباردة" حيناً آخر، وشهدت بلاد العرب حروباً أهمها: العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م، وعدوان شهر حزيران عام ١٩٦٧م، وبدأت تتعالى دعوات السلام والصلح من جديد، حتى أن بعض العرب المتساهلين والليانيين أخذوا يهمسون في الخفاء - منذ فترة غير قصيرة - بإيجاد مخرج لإنهاء الحرب، وسيادة الأمن، حتى وإن كانت عن طريق قبول هذه الدعوات، واستندوا في ذلك إلى قول الله تعالى:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١).

وإذا كان يوجد في الأرض المحتلة شعراء وطنيون يدعون إلى تحرير هذه الأرض وعودة النازحين، فقد لوحظ أيضاً اتجاه بعض الشعراء الآخرين إلى الدعوة إلى السلم، ومن هؤلاء:

أ- الشاعر حبيب شويري، حيث يقول في إحدى قصائده:

العيش في ظلّ السلام      بين الأزاهر والورود  
والكون مزدهر سعيد  
لا ظلم فيه ولا خصام      بل فيه إشراق الخلود  
السلم أمنية الشعوب      الظامئات إلى الإخاء  
الرانيات إلى الرخاء  
بدلاً من الرقص الطروب      فوق الجماجم والدّماء  
من هول تأثير الحروب (٢)

ب- ويوجه الشاعر أحمد ظاهر يونس نداءً إلى شاعر يهودي صديق له، كي يدعو معه إلى السلم، آملاً أن تسود روح الأخوة بين العرب واليهود، فتستنكر الحرب التي أسماها شراً، ويقول:

تعال لنشدو فالظلام مخيمٌ      ولا بُدُّ أن يمضي وأن ندرك الفجرا  
إلى السلم ندعو مخلصين ألا ترى      رؤوس المنايا عابساتٍ لنا حمرا

ويستمر على هذا النحو فيقول:

أخي الشاعر العبري هل من غضاضةٍ      إذا هتفتُ بالسلم أصواتنا جهراً  
أعني لنرعى في الديار أخوةً      موحدة الأهداف تستنكر الشراً (٣)

٣ - سورة الأنفال، الآية: ٦١.

١ - جورج نجيب خليل: الشعر العربي في خدمة السلام، تل أبيب، دار النشر العربي، ص ٥٨، ١٩٦٧م.

٢ - الشعر العربي في خدمة السلام، المصدر السابق، ص ٦٣.

وهكذا يبدو أن دعاة السلام متفائلون بتحقيق أمنيتهم الكبرى في حلول التفاهم بين العرب واليهود وإقامة الأمن والسلام في ربوع فلسطين.

وإزاء الدعوة إلى السلم على أساس الأمر الواقع، حتى وإن تخلّت "إسرائيل" عن الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م - الضفة الغربية وقطاع غزة - تقف الأغلبية الساحقة من الجماهير العربية عامة، والمسلمة خاصة على النقيض، ذلك أنها تؤمن بعدم شرعية دولة "إسرائيل" على أرض عربية، إسلامية، اغتصبتها من أهلها وطردتهم منها ظلماً وعدواناً، سنة ١٩٤٨م، وأنها ترى أن مثل هذا السلام لا يقوم على العدل، لأنه لا يضمن عودة فلسطين ومقدساتها إلى أهلها الشرعيين ومن ثم إلى الحضيرة العربية والإسلامية.

ج- وهذا هو الشاعر محمود سليم الحوت يؤكد هذا الاتجاه حيث يقول:

ما السُّلْمُ ما الأمن والأعداء في وطني	أنا طريدٌ وهم سكان جَنَّتِيهِ؟
لا، لن نرى السُّلْمَ إلا بعد عودتنا	مع الدِّمار المغنِّي لحنَ نَقْمَتِهِ
نَعَم سنرجعُ والدنيا مُهَلَّلَةً	للنَّصْرِ، والغربُ مفجوعٌ بدولته
تلك التي قال عنها أنها حُلِّقَتْ	لكي تعيش ويبقى مدُّ صَوْلَتِهِ! (١)

ثم يقول:

لكن سنرجعُ شأؤوا أم أبوا ولنا	بفتَح مَكَّةَ درسٌ ملؤهُ عِبْرُ
سنستعيدُ الجبالَ الشمَّ صامدةً	كأنها القَدْرُ المحتومُ ينتظرُ
والسَفْحَ والمنحنى والقاعَ جاريةً	دموعُها فوق خَدَّ السهل تنحدرُ
ونستردُّ الروابي وهي صابرةٌ	على الفراق بقلبٍ كاذبٍ ينفطرُ
سنستعيدُ رحابَ الدُّورِ عانيةً	والشوقُ مؤتلفٌ فيها ومزدهرُ
ونستردُّ فراديساً معلقَةً	ما خالطَ الرُّوحَ إلا ريحُها العَطْرُ (٢)

وإذا تأملنا آراء المسلمين - بل والعرب - ندرك أنهم يستندون إلى أحكام دينية أهمها رفض سلام الذليل مع الظالم، ورفض دعوة من يجنح للسلام وهو يعتصب حقوق الآخرين، وندرك أيضاً قبول الدعوة للسلام بإعادة الحقوق إلى أهلها. ولما كان اليهود لا يرضون بذلك فإن قتالهم لانتزاع الحقوق بات واجباً محتتماً، والجهاد في شرع الإسلام وعرفه فرض عين على كل مسلم قادر على القيام بأعبائه، وتستند هذه الجماهير إلى حكم الله في القرآن الكريم، حيث وردت آيات صريحة تجيز

٣ - محمود سليم الحوت، ملاحم عربية، هذا مقطع من قصيدة أقيمت بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، ص ٢٠٦.

١ - المصدر السابق، ص ٢٠٥.

لأصحاب الحقوق المعتصبة الجهاد والقتال حتى يتم انتزاع هذه الحقوق من المعتصبين الظالمين، وليس هذا فحسب بل إن مَنْ يُقْتَلْ دون حقه يكون شهيداً.

يقول الله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، و ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأما الأحاديث عن فضل الجهاد وانتزاع الحقوق المعتصبة فأكثر من أن تُحصَر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور"<sup>(٤)</sup>. والجهاد يكون باليد والمال واللسان والقلب، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"<sup>(٥)</sup>.

صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أبرم في عصره معاهدتي صلح: أولاهما مع اليهود في المدينة، وثانيهما مع المشركين في مكة.. ولكن هنالك فرق كبير بين اتفاقية الصلح في هذا العصر، وبين اتفاقية الصلح بالأمس..!! فاتفاقية الصلح بالأمس كانت لصالح المسلمين، وكان هدفها تطهير أرض المدينة من رجس اليهود، وتطهير أرض مكة من رجس المشركين.. أما اتفاقية الصلح في هذا العصر - حتى وإن انسحبت قوات "إسرائيل" من الضفة والقطاع - فإنها ستؤدي إلى اعتراف العرب بأن الأراضي المحتلة من عام ١٩٤٨م هي وطن لليهود لا للعرب، وحق أبدي لهم، وفي هذا من المخاطر لا حدود لها، ونحن نرى أن الأيام والسنوات المليئة بالأحداث والتطورات سوف تؤكد صحة هذا الرأي.

د- ويرد الشاعر كمال عبد الكريم الوحيدي على الداعين إلى الصلح المذلل بقوله:

٢ - سورة الحج، الآية: ٣٩.

٣ - سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

٤ - سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

١ - الإمام أبو عيسى بن محمد الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ): سنن الترمذي، ص ٣٧٢، ج ٥، فضائل الجهاد، مطابع الفجر الحديثة، حمص، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ويحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، ص ٣٧٥، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٢ - أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ): سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، باب الجهاد. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت، ج ٦، ص ١١.



ولكن السلام يُذِلُّ قومي	إذا ولّوا عن الأقصى صدوداً
فليس الحلّ في سلّم مهين	به الأغلال نلقى والقيودا
فما جزار قبيلة <sup>(١)</sup> ذا سلام	ولا الأخصام نرضاهم شهودا
إذا الرشاش لم يصنع سلاماً	فلن تأتي الحقوق ولن تعودا
إذا الأرواح لم ترجع حقوقاً	رضينا الذلّ واخترنا القعودا
رجال المسلمين لم استكنتم	لمن خانوا الأمانة والعهودا؟
فهيا للنفير ولا تّوانوا	أبيدوا الخصم لا تبقوا جحودا <sup>(٢)</sup>

فالشاعر كمال الوحيد لا يرضى بالصلح "السلام"، الذي لا يضمن عودة الحق الشرعي إلى عرب فلسطين. وهو موقن أن هؤلاء المغتصبين الظالمين لن يعيدوا فلسطين إلى أهلها بمحض إرادتهم، بعد أن قاتلوا من أجل احتلالها، وبات من بديهيات الحق والمنطق والعدل أن يقاتل العرب عامة والمسلمون خاصة، من أجل تحرير الأرض المحتلة، حتى يعود المشردون العرب إلى ديارهم وأراضيهم معززين مكرمين.

هـ- ومن علامات الطمع والغباء أن اليهود يريدون صلحاً يحفظ لهم المكاسب، ويرضي العرب ويضمن قيام علاقات طيبة بين الفريقين. يقول أحمد فرح عقيلان في هذا الشأن:

دُعاة السّلم قد خُدعوا وضلّوا	وما عرفوا النوايا الغادرات
وهل هذا الذي عرضه سلّم	ألا تعساً لها من مخزيات
سترجع ضفة الأردن لكن	بما فيها من المستوطنات <sup>(٣)</sup>

فاليهود يدعون إلى صلح يناسب مزاجهم، ويتسترون على أطماعهم ونشر المستوطنات ومن ثمّ التوسع، ويستخدمون أساليب خبيثة مليئة بالمراوغة والخداع، لا تخفى على كل ذي بصر وبصيرة.

و- ويؤكد الشاعر محمد العدناني أن الضعيف لا يدرك حقه، وأن إحقاق الحق يستدعي نشوء قوة عادلة تبطش بالظالمين، وتنتزع منهم الحق المغتصب، حيث يقول:

لن يدرك الحقّ الضعيفُ تسوّلاً	هذا لعمرى كلّهُ أوهُامُ
العدلُ حيث البطشُ وار زندهُ	والحقُّ حيثُ الجيشُ، وهو لهُامُ
والمجدُ ما بالدّمع يُخطبُ وُدّه	مهراً النهوضِ دمٌ يسحُ، وهامُ

- 
- ٣ - جزّار قبيلة هو مناخيم بيغن، الذي حصل بعد الصلح مع مصر على جائزة نوبل للسلام!!
- ٤ - حسني جرّار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج ٧، ص ١٥٤ و١٥٥.
- ١ - مأمون فريز جرّار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٥٠.

ومتى أراد الشعبُ نشرَ بنوده فعلى الجماجم تركُّزُ الأعلام<sup>(١)</sup>

فالإرادة القوية تحقق المعجزات، و"مَنْ يطلب الموت توهب له الحياة" و"مَنْ لم يمت بالسيف مات بغيره". أما من سهل على نفسه فيسهل على الناس. والدليل يُستباح حقه وكرامته ودمه. وقد دعا الإمام علي إلى الجهاد، وحذّر من التخاذل والتواكل بقوله: "أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ وشملة البلاء... فوالله ما عُزّي قومٌ في عُقر دارهم إلاّ ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شئت الغارات عليكم، ومُلكت عليكم الأوطان.. فيا عجباً والله يميّت القلب ويجلبُ الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يُرمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، ويُعصى الله وترضون.."<sup>(٢)</sup>.

وبعد، فأى كلام أبلغ وأصدق وأنجع من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والإمام علي رضي الله تعالى عنه في رفض التخاذل والذلّ، ووجوب الجهاد والقتال ضد الظالم، معتصب الأرض، حتى تعاد الحقوق إلى أهلها؟ وأية عزّة وجهاد أفضل من الجهاد في سبيل الله والوطن للفوز بإحدى الحسينيين: النصر أو الشهادة؟

وإذا كان الشعب الفلسطيني قد خاض أقسى المعارك ضد اليهود، فإنه قد تمرّس في النضال وسيتابع المسيرة؛ أجل إنه لم يترك وسيلة في الجهاد والتضحية إلاّ وسلكها خلال أطول فترة حرب يخوضها شعب معاصر، حيث قاتل بالكلمة والخنجر والبندقية والمدفع وها هم أطفال فلسطين العزّل يقاتلون بالحجارة. وإن هذا الشعب صاحب مدرسة في النضال والبطولة والتضحية والصبر والصمود، تماماً مثل شعبيّ الجزائر وفيتنام، وسوف يبقى هذا الشعب يناضل، ولن تلين له قناة ولن يرتاح قبل تحرير فلسطين.

إن هذا الشعب الباسل قاتل منذ عقود ولن يستكين، ولن يرضى بفتاة من أرضه، وهو مستعدّ ليصبر عقوداً وقرونًا كما صبر أسلافنا أيام غزو الصليبيين لبلادنا، ولكنه لن يتخلى عن الجهاد لتحرير أقدس أرض وأغلاها.

رابعاً: دراسة فنيّة للنصوص الشعرية:

٢ - فجر العروبة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ص ١٥١، ١٩٦٠م، ألقى الشاعر محمد العدناني قصيدة، منها هذه الأبيات، في مدينة نابلس، بتاريخ ١٦-٥-١٩٣٢م.

١ - علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار البلاغة، بيروت، ط ٢، ج ١، ص ١٢١-١٢٣، ١٩٨٥م.

إن دراسة الجانب الفئني في النصوص الشعرية التي وردت في هذا البحث تعني الأساليب التي سلكها هذا الشعر، وأنواعه الأدبية، وما رافقها من تصوير وخيال وعواطف جمالية وموسيقى، حتى اكتمل نضجه، وبات على هذه الحال.

وقد برزت محاولات جادة في دراسة الاتجاه الفئني في الشعر الفلسطيني في أبحاث سابقة

أهمها:

- ١- أطروحة دكتوراه لكامل السوافيري، بعنوان: "الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩٢٦-١٩٦٠م".
- ٢- أطروحة دكتوراه لمحمد شحادة عليان، بعنوان: "الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث" وذلك منذ مطلع القرن الماضي وحتى مشارف العقد الثامن منه.
- ٣- رسالة أعدها شوقي بزيع لنيل شهادة الكفاءة في اللغة العربية بعنوان: "شعر المقاومة الفلسطينية في النقد العربي الحديث".
- ٤- كتاب: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨م. وحتى ١٩٧٥م لصالح أبي إصبع. وتشكل هذه الدراسات والأبحاث مجتمعة دراسة متكاملة للاتجاه الفني في الشعر الفلسطيني.

#### ١- السمات والملامح التعبيرية:

الشعر أشهر الفنون الأدبية على الإطلاق، وهو يقوم على الشكل والمضمون معاً، ويحفل بهما معاً لا بالوزن والقافية، وحدهما، والفصل بين الشكل والمضمون أمر عسير، لأن كل تغير بالمضمون يتبعه تغير بالشكل، وهذا ما تؤكد طبيعة الشعر العربي قديماً وحديثاً، إذ أن القصيدة العربية حافظت على شكلها العمودي، وبقيت تحافظ على المضمون المألوف من مديح وفخر وهجاء ورتاء ووصف ونسيب وغزل. ثم تطوّر الشكل مع تطوّر المضمون عبر العصور، وأدخلت تعديلات أساسية على نظام القوافي وترتيبها، فيما عُرف بالموشحات، ثم انتشر الشعر الشعبي أو العامي في قصص الرواة والسّمّار والغنين. ومع رحلة النهوض القومي في أوائل القرن الماضي عادت الأنظار تتجه نحو التراث القديم، ودواوين الشعراء الكلاسيكيين، واتبعت القصيدة العربية الجديدة - القديمة نهج الشعر الكلاسيكي، الذي يمثل الوحدة فيه بيت الشعر لا القصيدة، وطرقت موضوعاته وأبوابه ذاتها. ومن جهة ثانية ظهر اتجاه جديد في الشعر العربي بعد إطلاقة الثقافة العربية الحديثة على الحضارة الأوروبية، مما ساعد على ظهور المذهب الرومانتيكي ثم الرمزي، وكان لذلك آثار على حركة

التجديد في الشعر العربي، فظهر ما يسمى بالوحدة العضوية للقصيدة، وقد شكّل ذلك نقضاً تاماً للقصيدة العربية الكلاسيكية، ما أدّى إلى تجاوز الشكل العمودي في مرحلة الأربعينات من القرن الماضي، وظهور حركة الشعر الحديث في مختلف أرجاء الوطن العربي التي أعادت ربط الشاعر بواقعه، وبذلك لعب الشعر الفلسطيني المقاتل دوراً بارزاً في توعية الجماهير وإرشادها، وفي تحقيق تطوّر في شكل القصيدة العربية وجوانبها الفنية المختلفة. وسنبداً بإيضاح ملامح هذا الشعر في ألفاظه وتعبيراته وأساليبه.

#### أ- الألفاظ والتعابير:

اللفظ هو وعاء المعنى، ويجب أن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، يمتاز بروق الفصاحة ويخلو من البشاعة<sup>(١)</sup>. ولا يُنظر في الأدب إلى إيراد المعاني وحسب، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي، وإنما يتوجه الاهتمام أيضاً إلى جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، مع صحة السبك والتركيب.

وقد برزت في النصوص الشعرية التي استشهدنا بها مظاهر السهولة والوضوح في استعمال الألفاظ المتداولة المألوفة، مثل قول عبد الرحيم محمود في الصفحة السادسة عشرة من هذا البحث، فضلاً عن اقتباس آيات بكاملها:

نصروا الله فلم يخذلهمو  
بل جزاهم ربهم فوزاً ونصره  
ومثل قول توفيق زياد في الصفحة الثامنة عشرة:  
ألا هل أتاك حديث الملاحم  
وذبح الأناسي ذبح البهائم  
ومثل قول سعيد عبد الهادي تيم في الصفحة الواحدة والعشرين:

رُبَّ حَيٍّ عَاشٍ مَيِّتاً  
عمره فوق الزوال

ومن غير شك أن السهولة العذبة باتت عماد قيمة هذا الشعر وأمثاله، ولا بدّ لنا من الإشارة أيضاً إلى استخدام الشعراء لكثير من الألفاظ المعبرة بقوة عن المعاني المختلفة والموحية بدقة ويُسر، فضلاً عن مختلف التشبيهات والاستعارات التي زانت هذا الشعر وميّزته، ولكنه ما زال بحاجة إلى مزيد من التطوير والتجديد.

#### ب- الأساليب:

١ - ابن جعفر - قدامة: نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٧٤.

يرى مصطفى الفار أن الأسلوب هو "منحى الكاتب العام، وطريقته في التفكير والتأليف والتعبير والإحساس على السواء وليس طريقة الأداء اللغوي فحسب"<sup>(١)</sup>.  
ومن غير شك أن هناك عدة عوامل تؤثر في أسلوب الأديب أهمها الطبع والبيئة والثقافة والتربية، فيمزج الكاتب بين مادة فكره ومادة إحساسه، فيصبح الأسلوب معبراً عن صاحبه.

وقد اتسم الشعر الفلسطيني بالأسلوب الخطابى تارة<sup>(٢)</sup>، وبقلب قصصي تارة أخرى<sup>(٣)</sup>. وبرز الأسلوب التعبيري في شعر المقاومة في قصائد كثيرة<sup>(٤)</sup>.

ظل الشعر الكلاسيكي التقليدي غالباً على غيره - في الشعر الفلسطيني - حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين، تلاه الاتجاه الإبداعي - الرومانسي، الذي ظهر في الحقيقة منذ الربع الثاني من القرن العشرين، ثم ظهر الاتجاه الواقعي في العقد الرابع من هذا القرن، فربط الشاعر بدنيا الواقع، وبرز في فلسطين كما في غيرها من الأقطار العربية شعراء قالوا قصائد تقليدية، وأخرى وفق الشكل الحديث - الشعر الحر - أو شعر التفعيلة.

واستخدم شعراء الأرض المحتلة الأسلوب الرمزي بأسلوب لا تصعب معرفة إيحائه<sup>(٥)</sup>، وذلك بسبب وقوعهم في ظل الاحتلال والظلم.

### ج- الموسيقى الشعرية:

الموسيقى فنٌّ فطريٌّ غريزيٌّ قديم، نلحظه في الطبيعة وفي حفيف الأوراق، في غناء الطيور، في هدير الأمواج، وفي مناجاة الطفل، وفي مظاهر أخرى كثيرة.

والمهم أنها تخلق عند الإنسان إحساساً وتدوقاً طبيعياً لجمالها. وقد استعملها الإنسان لحاجات مختلفة، مثل الطقوس الدينية، والأفراح، والمآتم، والسفر والحروب.

لقد نشأ الشعر العربي نشأةً غنائيةً موسيقيةً، وعلى أساس الأنموذج القديم وضع العروضيون أوزانهم، ولا بُدَّ من التمييز بين نوعين من الموسيقى في الشعر: "الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية".

٢ - الشاعر أبو سلمى أديباً وإنساناً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ص ١٣٥، ١٩٨٥م.

١ - انظر: الأبيات في الصفحتين التاسعة والعاشر.

٢ - انظر الأبيات في الصفحتين التاسعة والعاشر.

٣ - انظر الأبيات في الصفحات: الحادية عشرة والثانية والعشرين والسادسة والعشرين.

٤ - انظر الأبيات في الصفحة السابعة والعشرين.

وإذا كان الوزن هو الوسيلة التي تمكن من أن يؤثر بعضها في البعض الآخر، فإن القافية تحقق دوراً مهماً في اتساق النغم، من خلال عدة أصوات في ختام كل بيت أو سطر شعري، وبذلك فإن الوزن والقافية يحققان التوقع، والنغم الموسيقي معاً.

ومما يجدر ذكره أن الشعر الحر ينبغي أن يقوم على الموسيقى المعبرة الموحية، وأن تكون القافية هي المؤسس لهذا الإيحاء، الراصد له، علماً أن الشعراء استمدوا تفعيلات هذا الشعر من البحور المعروفة المألوفة، ورغم ميلهم إلى الانطلاق، فقد اتصف كثير من الشعر الحر بالرمزية المغلقة، أو الغموض والإبهام، مع العلم أن الشعر يوضع ليفهمه الناس عامتهم وخاصتهم. وستثبت الأيام أن هذا الشعر رغم حسناته الكثيرة، ما زال يتطلب معالجة ما فيه من ثغرات.

#### د- القوافي:

لقد بُني الشعر في معظم الشواهد التي قدمتها في هذا البحث على نمط القافية العمودية المتكررة، التي يتكرر فيها حرف الروي على امتداد القصيدة كلها، وقد نسج شعراء فلسطين قديماً وحديثاً كثيراً من قصائدهم على هذا المنوال، ومن أمثلة ذلك قصيدة: "ذكرى بدر" للشاعر محمد العدناني، والتي وردت في الصفحة السابعة عشرة، حيث جاء فيها:

سلوا التاريخ عما قد فعلنا      وقد دارت رحي بدر طحونا  
سحقنا الشُّركَ فيها دون لينٍ      ومرقنا صفوف الكافرينا  
لكلِّ ثلاثةٍ منهم شجاعٌ      من الشوسِ الأباةِ المؤمنينَا

ومما يجدر ذكره أننا لم نذكر أيّ شاهد على القافية العمودية المتعددة التي يتعدّد فيها الروي في القصيدة الواحدة، لكننا قدّمنا أمثلة عن القافية الحرّة للشاعر توفيق زياد، في قصيدة "كفرقاسم"، والقصيدة التي تليها والتي أطلقها من خلف قضبان سجن الرملة معلناً صموده وكبرياءه، حيث قال:

ألقوا القيود على القيود  
فالقيد أوهى من زُنُودي...

#### ٢- التصوير والخيال:

يستخدم الشعراء في شعرهم أشكالاً مختلفة من التعبير المتخيل لنقل أفكارهم وعواطفهم إلى الآخرين من خلال الإيحاء بها عن طريق التصوير لا التعبير المباشر، وإن الشعر يكتسب أهميته وغناه من الصور الشعرية.

وتكثر الصور والأخيلة في الشعر الفلسطيني، سواء التقليدي منه أو الحديث، ولا سيما في الشواهد التي قدمناها في هذا البحث، وهي صادرة عن عاطفة صادقة تجاه الواقع الذي خبره هذا الشاعر أو ذلك، وما زال يعيشه فرداً وشعباً وقضية.

أ- فمن الكنايات ما جاء في قول حسن البحيري في الصفحة الثانية عشرة:

و"جارة الطور" والأحداث تحجبها مادت بأحزان أيقوناتها الجدر

فقوله: "جارة الطور" كناية عن مدينة الناصرة.

ب- ومن الاستعارات:

١- ما ورد في قول علي هاشم رشيد في الصفحة العاشرة:

قد رضعت العلا في المهد فانتصبت فيك المعالي لتنبني عن مربيها

ففي كل من قوله "قد رضعت العلا في المهد" و"فانتصبت فيك المعالي" استعارة مكنية.

٢- وفي قول عبد الرحيم محمود في قصيدة "القرآن الكريم" في الصفحة الثانية عشرة:

"كتابٌ أضاء دياجي الظلم" استعارة مكنية

٣- وفي قول محمد العدناني في قصيدته بعنوان: "ذكرى بدر" في الصفحة السابعة عشرة:

"سلوا التاريخ" و"سحقنا الشرك" نلاحظ استعارتين.

وفي قول توفيق زياد: "ذبح الأناسي ذبح البهائم" في الصفحة الثامنة عشرة تشبيه.

وتتعدد في هاتين القصيدتين التشبيهات والاستعارات في الصور الحسية والمجازية.

ج- ومن التشبيهات:

١- قول الشاعر عدنان النحوي في الصفحة الثالثة والعشرين:

هذه المعازل آمالٌ لأمتنا...

٢- تشبيه عبد الرحيم محمود هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بكرّة كانقباض الليث

ينوي وثبةً، وذلك في الصفحة السادسة عشرة.

د- ورسم محمود سليم الحوت في قصيدته التي وردت في الصفحة الخامسة والعشرين صوراً نابضة

بقوة الإرادة والعزيمة، ومشبعة بالأمل الذي يدغدغ أفئدة الفلسطينيين في العودة المظفرة بعون الله.

الخاتمة:

لقد وجدتُ أن قسماً كبيراً من الشعر الفلسطيني يُعدُّ شعراً إسلاميَّ النزعة، يؤكد قداسة فلسطين، واهتمام شعبيها بالمقدسات والشعائر الإسلامية، والجهاد في سبيل الله والوطن، وبذلك فهو شعر مقاوم ومقاتلٌ أيضاً، وُلد معظمه في أرض المعركة، فينبئه الجماهير إلى المؤامرات والمخاطر، ويدعو إلى التصدي لها، والصمود، وعدم الرضوخ والتهاون، ويستنهض الهمم للوحدة والتعاون، وإعداد العدة والقتال والفداء وتحرير الوطن.

وأرى أن الشعر الإسلامي النزعة يشكل إغناءً مهماً للشعر الوطني الفلسطيني خاصة، والشعر العربي عامة.

وهكذا يستطيع القارئ الكريم أن يطلع على حركة الشعر الفلسطيني المعاصر في الاتجاه الإسلامي، ومواقفته لأحداث هذا القطر.

وأوصي بالاطلاع على الشعر الفلسطيني في مختلف اتجاهاته: الوطنية والدينية والقومية والاجتماعية والفنية، ولا سيما في كتابنا: الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، الصادر في بيروت، عام ١٩٩٨م، وهو موضوع أطروحة الدكتوراه. وهذا البحث غني بالشعر ودراسته، ويكشف عن جوانب مهمة في هذا الشعر، وقد وُصِفَ بأنه مُميِّز بالروح الموضوعية والأسلوب الأدبي الرفيع والمتع.

\* \* \* \*